بر ية شيهيت

أين شوكتُكَ يا موتُ
أين غَلَبَتُكِ يا هاويةُ

للأب متى المسكين

كتاب : أين شوكتكَ يا موت . أين غلبتكِ يا هاوية .
المؤلف : الأب متى المسكين .
الطبعة الأولى : ١٩٨٠ .
الطبعة الثانية : ١٩٨٦ .
مطبعة دير القديس أنبا مقار.
ص. ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨٦/٢٢٦٩
الترقيم الدولي : ٩ — ٢٧ — ٤٤٨ — ٩٩٧

أين شوكتُكَ يا موتُ
أين غَلَبَتُكِ يا هـاوية

□□□

منذ أن سقط آدم، والموت هو عدو الإنسان الكبير، فوإن كان للإنسان أعداء كثيرون بسبب الخطية، ولكن الموت كان دائماً أشدها سطوة و بأساً على نفسية الإنسان. هذه الحقيقة واجهها الإنسان طول حياته بجزع شديد مع خوف دائم ورعبة. وقد عبَّر عنها بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين بقوله: «الذين **خوفاً من الموت، كانوا جميعاً، كل حياتهم تحت العبودية.**» (عب ٢ : ١٥)

أي أن الإنسان من شدة واستمرار خوفه من الموت، أصبح عبداً لهذا الخوف، لأن الخوف الشديد والمستمر من أي شيء، ينشىء حتماً حالة عبودية له، مع شعور بالعجز والمذلة!! هكذا عايش الإنسان الموت بهذا الإحساس من الخوف والمذلة كل أيام حياته حتى مجيء المسيح.

ولكن هل ترك الله الإنسان هكذا بدون شاهد على إمكانية غلبة الموت وتخطّي سلطانه، في الأزمنة السالفة؟

مواقف غلبة الموت في العهد القديم

١ ــ إن أول نصرة حازها الإنسان ضد الموت بصورة حاسمة ملموسة كانت على يد أخنوخ بشهادة الكتاب المقدس: «وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه» (تك ٥ : ٢٤). ولكن لم تكن هذه النصرة الباهرة لأخنوخ ضد الموت جزافاً، فقد أثبت

جدارة أمام الله ، كافأه الله عليها علانية ، إذ يقول بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين: «بالإيمان نُقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله ، إذ قبل نقله شُهد له بأنه قد أرضى الله .» (عب ١١ : ٥)

لأنه إن كان آدم بسبب عصيان الله قد وقع تحت سلطان الموت ، فأخنوخ بسبب إرضاء الله كان أول إنسان بعد آدم ، يهزم الموت و يطأه بقدميه و يرتفع إلى السماء حياً ، وذلك شهادة على قوة إرضاء الله ومقدرتها على فك الإنسان من عبودية الموت والخوف منه !! الله أراد بنقل أخنوخ إلى السماء حياً ، أن يخلخل من سلطان الموت ورعبته من إحساس الإنسان وضميره .

٢ ــ أما الموقف الثاني الذي تحدى فيه الإنسان الموت على مستوى الشعب بأكمله ، فكان في مصر ، حينما أطاع الشعب أمر الله على فم موسى بذبح خروف الفصح ، ووضع الدم على الأبواب في وجه الملاك المهلك أي ملاك الموت ، الذي لما رآه الملاك تراجع . وهذا الدم ، وإن كان الشعب لم يدرك معناه العميق والبعيد ، إلا أن ملاك الموت ، الذي هو أيضاً ملاك الدم ، كان يدرك السر الذي وراء دم خروف الفصح ، حتى أنه ارتعب من مجرد الإقتراب نحو الباب الذي مُسح به . إذ أنه ليس بلا معنى قول سفر الرؤ يا عن سر الخروف الذي ذُبح في مصر هكذا : «... ومصر حيث صُلب ربنا أيضاً .» (رؤ ١١ : ٨)

أي أنه كان معلوماً لدى كل الخليقة الأخرى العلاقة السر ية بين دم الفصح الذي فدى شعب إسرائيل ونجّاه من يد الملاك المهلك في مصر ، و بين الدم الذي فدى العالم كله ونجّاه من يد الذي له سلطان الموت أي إبليس .

ولكن هذه النصرة الثانية على الموت ، التي جازها الإنسان على مستوى شعب بأكمله ، لم تكن أيضاً جزافاً ، بل نظير طاعة حرفية لوصية الله التي أُمر بها الشعب على فم موسى .

أما الإنطباع البعيد الأثر الذي نستشفه من تراجع ملاك الموت إزاء خروف الفصح، فهو بداية تقهقر وانكسار لسلطان الموت عن الإنسان.

مواقف أخرى عديدة:

وبين نصرة أخنوخ على الموت بواسطة إرضاء الله، ونصرة شعب إسرائيل بأجمعه على الملاك المهلك بواسطة طاعة وصية الله، توجد أمثلة عديدة لنصرات كثيرة ومتوالية، فردية وشعبية، على الموت، سواء إزاء وحوش أو حوادث أو حروب أو أمراض أو كوارث، امتدت فيها جميعاً يد الله وانتشلت الإنسان من موت محقق، مثل: داود من فم الذئب والأسد ومن سيف جليات الجبار، وإيليا من يد إيزابل والأنبياء الكذبة، ثم صعود إيليا إلى السماء في موكب سمائي مهيب بمركبة نارية وخيول شاروبيمية أُرسلت من السماء خصيصاً لنقل إيليا حياً بجسده، كأعظم نصرة على الموت، شاهدها الإنسان بجسده عياناً، كان إيليا فيها بسبب سيرته النارية في النسك والزهد والبتولية، مندوباً فوق العادة عن البشرية لسبق تذوق إمكانية غلبة الموت وتخطّيه، في عظمة فائقة وتكريم سمائي كعربون لما سيحققه الرب يسوع لنا جميعاً.

كذلك في موقف إليشع النبي الذي بواسطة حفنة دقيق، نجده يتحدى سم الموت الكائن في القدر، والذي سرى في أجسام ضيوفه بسبب الأكل من قثّاءٍ بريٍّ سام (٢مل ٤: ٣٨ــ٤١). هنا نجد نصرة علنية فوق الموت سببها معروف، وهو طاعة إليشع الفائقة لإيليا، التي تحقق فيها قول الإنجيل: «من يقبل نبياً باسم نبي، فأجر نبي يأخذ» (مت ١٠: ٤١). وهكذا نال إليشع أجر إيليا تماماً، لا عن جهاد شخصي بالدرجة الأولى، بل عن طاعة لروح النبوة التي كان يحملها إيليا من الله!!

والفتية الثلاثة وهم في وسط أتون النار المحمية وألسنتها صاعدة ٤٩ ذراعاً كأنها فوهة بركان، وقد وقفوا معاً يسبحون الله في تحدٍّ للموت وجبروت النار التي تمثل أرعب صورة لسلطان الموت على الإنسان، هذه النصرة الرائعة نالها الإنسان بسبب أمانته في

الـشـهـادة لعبادة الله . كذلك نقرأ عن دانيال كيف شاهد يد الله وهي تسد أفواه الأسود عـنه، فوقفت الأسود أمامه صامتة حائرة، وهي تكاد يمحقها الجوع. وكان هذا تعبيراً عن انـكـسـار سطوة الموت عن الإنسان الذي يمثله دانيال، الذي استطاع ذلك بصلاته ثلاث مرات كل يوم، يصليها من عُلِّيته وكواه مفتوحة، شهادة لله الحي الذي كان يعبده بروحه وصدق قلبه، لا عن مظهر ولا عن تحدٍّ.

وأخـيـراً في مـوقـف بـولـس الـرسـول وهـو يُحفظ مرات كثيرة من الموت، ويجوز كل أخـطاره من سيول ولصوص وغرق ومكايد ورجم وسم الأفعى التي أنشبت في يده أسنانها ولم يضرُّه شيء، كل هذا ليتم فيه وعد الرب إزاء أمانة الكرازة بإسمه، إلى أن يتمم سعيه و يلبس إكليله.

□

كـل هـذه الـنـصرات الكبيرة والكثيرة جداً في كلٍّ من العهد القديم والعهد الجديد، تكشف لنا عن مقدار القوة المذخرة لنا ضد الموت في صميم خلقتنا الأولى وما أضيف إليها من مواهب الخلقة الجديدة الروحية.

صـحـيـح أن «آخـر عدو يبطل هو الموت» (١ كو١٥: ٢٦)، ولكن الله سبق وأبطله عـنـا مـرات كـثـيرة في الماضي حتى يحرر الإنسان جزئياً من قيود عبوديته وحتمية الخوف منه.

الخطية والموت

□□□

كان هذا كله في الماضي، لأنه بسبب الخطية حلت لعنة الموت وملكت على الأرض كلها، الموت يسود الأرض! ليس حيٌّ على الأرض إلا ويموت، الموت يوجد خارجنا و يوجد داخلنا. «الموت مَلَكَ على الجميع» كما يقول الكتاب في رسالة رومية: «بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم و بالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع ... قد ملك الموت !!» (رو٥: ١٢و١٤)

ولأن الخطية، التي هي أصلاً من مشورة إبليس، كانت ولا زالت هي السبب في الموت، صار يقيناً عندنا أن سلطان الموت هو في يد إبليس.

وهكذا صار معلوماً أيضاً بيقين أقوى وأشد أنه لن يُنقَذ الإنسان من سلطان الموت، إلا إذا أُنقذ من سلطان الخطية. لهذا نزل آبن الله من السماء وأخذ جسدنا بلا خطيئة وعاش بلا خطيئة، فتحرر جسدنا بالتالي من سلطان الموت. ولكن لكي يبيد الموت من جسدنا، كان لابد أن يموت و يقوم، فيحطم قوته وسلطانه، و يبدد رعبة الخوف منه إلى الأبد، وهكذا بالموت داس المسيح الموت عنا، والذين في القبور أنعم عليهم بالحياة الأبدية.

وهكذا أيضاً لما أبطل سلطان الموت أبطل بالتالي من له سلطان الموت أي إبليس. «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، و يعتق أولئك الذين خوفاً من الموت، كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية.» (عب٢: ١٤و١٥)

الآن مشيئة الله قد صارت لكل إنسان أن يختبر و يذوق الإنتصار على الموت! أما

الإنتصار على شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة، وأما الإنتصار على إغراءات الشيطان في هذا جميعه وكل أنواع الخطايا، فأمر مهم غاية الأهمية ولازم غاية اللزوم. ولكن تظل هذه النصرة كلها ضعيفة متوعكة ناقصة جداً حتى تكمل خبرة الإنسان في الإنتصار على عبودية الموت والخوف من الموت! لأن أعداء الإنسان حقاً كثيرون: الجسد والعالم والشيطان، ولكن الموت أخطرهم والخوف من الموت ألعنهم جميعاً. فإذا انتصرنا على الجميع وأبقينا على هذا العدو الأخير الذي هو الموت، أو تجاهلنا وجوده وتعامينا عن حالة الخوف منه الرابضة في أعماق كيان الذهن والضمير والتفكير، فإن كل نصرتنا المزعومة تبقى مزعزعة قابلة للنكسة والإنقلاب. لأنه حينما يظهر فجأة عنصر الموت أمامنا و يتهددنا بأية وسيلة وعلى يد أي إنسان، حينئذ يبدأ عامل الخوف من الموت يسود على كل الكيان، و يبدأ الإنسان بسبب صغر النفس ينكر منهج الفضيلة، ويجحد الإيمان والأمانة في لحظة في طرفة عين، و يستفيق وإذا هو مغلوب منهزم أشر إنهزام.

لذلك حينما يقول الكتاب: «آخر عدو يبطل هو الموت»، فهو يقصد ليس فقط عامل الزمن، بل وأيضاً يكشف ضمناً عن عنصر الخطورة الكامنة في هذا العدو الجبار الخبيث، وتفوّق هذه الخطورة على كل ما عداها في كافة أعداء الإنسان الآخرين، بل و يشير الكتاب بذلك أيضاً إلى أهمية هذا العدو وقدرته على التربص في قلب الإنسان واختفائه وراء كافة الأعداء الآخرين!!

فإذا تركنا هذا العدو رابضاً في داخل القلب تحيط به هالته الكاذبة من الرعبة والخوف، يصبح كل جهادنا مهدداً وفي خطر.

الرب بإقامته لعازر بعد أربعة أيام من موته و بعد أن أنتن جسده في القبر، فضح جبروت الموت وهتك سلطانه علناً أمام الناس، وجرده من كل سطوته وحتميته؛ نتن اللحم والدم جعله خرافة، ورائحته الكريهة جعلها كالحلم الكاذب؛ نفض الدود عن اللحم المهرأ، وأقام الأعضاء المفككة غضة نابضة بالحياة ونشاطها؛ هذا كله يعتبر حقاً

عربون النصرة على الموت الذي سلمه لنا تمهيداً لما هومزمع أن يعمله في أجسادنا جميعاً الذي عمله هوفي جسده أولاً لتكون القيامة حقاً أبدياً لنا.

قيامة لعازر من الموت حياً بعد أن أكملوا كل مراسيم الموت والدفن من بكاء ودموع ورثاء وعزاء ومواساة حتى إلى اليوم الرابع، كفيل حقاً أن يبدد من مشاعرنا حتمية الموت التي طغت على وجداننا وترسخت فينا، وكأن الموت لا رادّ لقضائه.

لنلاحظ جميعنا أن الرب أقام لعازر من الموت قبيل موته هومباشرة ليثبت لنا أنه وإن مات فهوسيد الموت، وإن قام فهورب القيامة القادر بقوته وسلطانه أن يلغي الموت ويطأه لا بقيامته هوفحسب بل وبكلمة واحدة من فمه «لعازر هلم خارجاً» !!

لقد سبق المسيح أن قال لمريم: «أنا هو القيامة والحياة» !! «من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو١١: ٢٥و٢٦). إن سر المسيح والمسيحية يتركز في هذه الآية بقوة وإلهام، فالمسيح هوهو الحياة الأبدية؛ فمن ذا الذي يمسك بالحياة ويموت؟ ألم يقل المسيح بوضوح: «من يأكلني يحيا بي» (يو٦: ٥٧) !!

وليكن معلوماً وعن يقين أن كل ما تبقّى للموت ليسود عليه فينا من بعد قيامة المسيح، هو ما فينا من تراب فقط، حيث يعود التراب إلى التراب الذي أُخذ منه. أما نحن الأحياء الآن بالروح، ونفوسنا الحية في المسيح والمخلوقة بالروح جديداً على صورة خالقها، فهذه لا نصيب للموت عليها البتة. هذه لن يحتويها قبر، ولن ترى ظلمة القبر أبداً، بل من نور إلى نور تنطلق، ومن مجد إلى مجد تنتقل!!

الخطورة الآن قائمة في أن يستولي الخوف من الموت على ما ليس له فينا، الخطورة كل الخطورة أن يدخل الخوف من الموت إلى نفوسنا الحية ويطفىء منها شعلة النور أي الإيمان بالقيامة وبالمسيح القائم عنا ولنا وبنا، فيزيح روح الحياة من نفوسنا ويستوطن الموت في قلبنا كحالة خوف وهمي من عدو مقتول!!

المسيح أبطل الموت عن نفس الإنسان وأحل محله روح القيامة، وروح القيامة هو الذي سيقيم جسدنا أيضاً من بعد فساد، ويجعله على صورة النفس في البهاء والمجد كالمسيح، لأن الكتاب يقول بغاية الوضوح: «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده» (في٣: ٢١). الموت له سلطان الآن على التراب الذي في جسدنا، أي الجزء الميت فينا، ولكن لا سلطان له أبداً على الروح أو النفس التي في جسدنا، لأن المسيح يملأ الجسد كهيكل له، والنفس له عروس، والروح هي أصلاً من نفخة الله.

الهيكل الترابي المناسب فقط للأرض، ينحل بالموت لكي يتسنى لله أن يعيد بناءه بدون خطية لكي يناسب السماء، وذلك بواسطة المسيح الذي يجدد خلقته على صورته في المجد والكرامة.

الخوف من الموت وقيامة المسيح

□□□

إذن، فالخوف من الموت الآن أصبح بالنسبة للإنسان الذي يؤمن بقيامة المسيح، بمثابة تهديد مباشر بانغلاب روح القيامة وتحويلها إلى عمل عاجز فاقد قدرته على إعطائنا روح المسيح وحياة المسيح: «لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم، **أنتم بعد في خطاياكم**، إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا.» (١ كو١٥: ١٦—١٨)

وهكذا يقف الخوف من الموت مساوياً لإنكار القيامة، إن لم يكن بالفم، فبجزع القلب وصغر النفس وانهزام الإرادة، حيث تنحل قوة النفس، فيضيع رجاؤها هباءً، وتعيش الروح في شبه ظلام! بل وأكثر من ذلك، لأن الآية السابقة تشير إلى أن فقدان الإحساس بالقيامة، يساوي البقاء في حالة الخطية!!

لذلك يُعتبر الموت والخوف من الموت أخطر عدو لنا الآن، مع أنه مقتول وغير موجود، وقد أبطله المسيح بموته وبقيامته، وأفقده كل سلطانه، وعزله تماماً عن الإنسان المولود من الله!! «لكي **يبيد** بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي **إبليس**.» (عب ٢: ١٤)

المسيح الآن يملك في أولاد الله بروح الحياة، عوض الموت ومن كان له سلطان الموت أي إبليس الذي كان يملك على كل إنسان. وبذلك أصبح الخوف من الموت يشير إلى أن المسيح لم يملك بعد كما ينبغي على كيان الإنسان نفسياً وروحياً، وهذا أمر خطير للغاية. نحن الآن موضوعون لنأخذ النعمة من الله للحياة بالمسيح يسوع، عوض الخوف من الموت الذي كان بسبب الخطية.

والكتاب يشدد جداً في مواضع كثيرة على أن عمل النعمة وعطية البر المجاني من الله

بالمسيح أقوى جداً جداً من عمل الخطية وسلطان الموت والخوف من الموت: «لأنه إن كان بخطية الواحد قد **ملك الموت** بالواحد، **فبالأولى كثيراً** الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر **سيملكون في الحياة** بالواحد يسوع المسيح... ولكن حيث **كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً**، حتى كما **ملكت الخطية في الموت** هكذا **تملك النعمة بالبر للحياة** الأبدية بيسوع المسيح ربنا.» (رو٥: ١٧و٢٠و٢١)

والذي يفوت على كثيرين هو أن بولس الرسول يشدد دائماً على أنه كما سُقينا الخطية عن طريق الجسد كميراث محزن من آدم انتهى بالموت، هكذا سُقينا النعمة مجاناً عن طريق الروح كميراث مفرح جداً من المسيح انتهى بالحياة الأبدية. ولكن كما أن الخطية **لا تملك علينا إلا بالعمل والفعل الإرادي**، كذلك **فنعمة المسيح لا يمكن أن تملك علينا إلا بالعمل والفعل الإرادي**. والذي تملك عليه النعمة، يستحيل أن يملك عليه الموت أو الخوف من الموت!

وهكذا واضح غاية الوضوح، أنه كما أن الخوف من الموت هو نتيجة مباشرة لفعل انتهى بالخطية، هكذا الثقة بالحياة الأبدية هي نتيجة مباشرة لفعل انتهى برضاء الله وسُكنى النعمة: «لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رو٦: ٢٣). لأنه كما تقف النعمة في مواجهة الخطية، هكذا تقف الحياة الأبدية في مواجهة الموت. وكما يقف الخوف من الموت كعثرة عظمى في وجه الإنسان السائر في طريق الله، كذلك تماماً يقف الفرح بالمسيح وبهجة القيامة كقوة فائقة ترفع إرادة الإنسان وإحساسه وفكره وضميره وكل كيانه فوق الموت والخوف من الموت.

وليس عبثاً ما ينبهنا بخصوصه بولس الرسول من جهة أن المسيح الآن لا يمكن أن يسود عليه الموت، لأنه بهذا يعمّق وعينا بأن صلتنا بالمسيح تمنع عنا منعاً باتاً الخوف من الموت لأننا نعيش الآن مع المسيح الحي، ونحن سنكمل هذه الحياة معه إلى الأبد بدون انقطاع: «لأني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩). الموت لم يعد يستطيع قط أن

يـفـصلـنـا عـن الحياة التي في المسيح التي فينا الآن: «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يـسوع قـد أعـتـقني من ناموس الخطية **والموت !!**» (رو٨: ٢). إن هذه الحقائق الإيمانية يـنـبـغـي أن تأخذ طريقها داخل شعورنا وإحساسنا، ليس النفسي والفكري فحسب بل والجسـدي أيضـاً. لأن الحياة الأبدية التي منحها لنا الله سوف تشمل حتماً وأكيداً هذا الجسد أيضاً. لأنه معروف أن المسيح هو «مخلِّص الجسد» أيضاً (أف ٥: ٢٣).

ولـكـن عـلـينا في مقابل ما يفعله الموت في خلايا أجسادنا، ويحلها من سنة إلى سنة، و يـضـعـف حواسنا وأعضاءنا قليلاً قليلاً حتى في النهاية تصيبنا الشيخوخة ونموت، كذلك يـنـبـغـي أن نـفـسـح للروح الـقـدس وقوة النعمة بفعل الإيمان والرجاء لكي يجدد صورتنا الداخلية و يضع كل ملامحها الروحية، حتى نكون قريبين جداً من شكل المسيح وروحه وفـكـره وصـفـاتـه، حتى إذا متـنـا نـوجد في الحال أحياء معه وجهاً لوجه !!: «إذ خلعتم الإنـسـان الـعـتـيـق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو٣: ٩و١٠). لأننا إذ نثبِّت عيون قلوبنا على وجه المسيح، نتغير إلى تلك الصورة عينها كما يقول بولس الرسول.

حياة الله فينا: علامتها التحرر من إحساس الموت:

وبمجرد أن تبدأ حياة الله تعمل فينا، ستكون علامتها الأكيدة التحرر من الإحساس بـالموت وغـلـبة الخوف منه، لأنه لا يمكن أن يسكن في الإنسان لعنة الموت و بركة الحياة مـعـاً !! حـيـاة الله فـيـنا تطرد لعنة الموت وتطرح الخوف خارجاً. والإنسان الحي في الله، يحـس جـداً أنـه أقـوى مـن المـوت، وأن الموت فَقَدَ سلطانه عليه. الإنسان الحي في الله لا يخـضـع في أعـمـاقـه للموت ولا للإحساس بالموت، حتى وهو يموت يشعر أنه لا يموت ولن يموت، وأنـه سـيـبـقى حـيـاً ولن يفقد حياته في الله ولا لحظة واحدة ولا طرفة عين! الجسد سـيـعـود إلى الـتـراب الـذي جـاء مـنـه، أمـا هو فسيظل مع المسيح ولن يتزعزع أبداً، بل ستنفتح عيناه الروحيتان في الحال، لينظر نور المسيح و يعاين مجد القيامة !!

أن يستسلم الإنسان للموت أو للشعور بالموت أو يخضع للخوف من الموت، هذا أمر ضد الإيمان، لأنه معروف أن الموت هو عدو للإنسان: «آخر عدو يبطل هو الموت» !! إذن فنحن مطالبون أن نُخضع الموت ونقاومه ولا نعتد به، لا أن نخضع له، متقوِّين عليه بالرب وبشدة قوته، عالمين أن قوة القيامة التي فينا قد دحرت الموت مرة وستدحره أيضاً حتى النهاية. هذا قد لقنه لنا الإنجيل بوضوح حينما علمنا أن نقول: «أين شوكَتُكَ يا موتُ، أين غَلَبَتُكِ يا هاوية!!» (١ كو١٥: ٥٥). لقد غزانا **الموت** عن طريق **الخطية**، والمسيح حطم **هذا وتلك**، وأعطانا عوض الخطية برَّه الشخصي، وعوض الموت حياته الأبدية.

فكيف نعيش بعد في الموت أو نخشاه؟ الموت الآن مربوط مع من له سلطان الموت، أي إبليس، باستعداد المصير المحتوم: «وطُرح الموت والهاوية في بحيرة النار.» (رؤ٢٠: ١٤)

كيف نخضع بعد للموت أو لسطوته وهو فاقد وجوده منذ الآن وإلى الأبد؟! نحن الذين أخذنا روح الحياة غير المخلوقة التي للمسيح وصرنا خليقة غير مائتة بهذا القدر المجد، كيف نعود ونُخضع روح المسيح لأحاسيس الموت أو خشيته؟ أليست حياة المسيح فينا تعمل للحياة الأبدية بقدر ما يعمل الموت في جسدنا عشرة آلاف مرة؟ أو ربوات بلا عدد؟ المسيح أبطل الموت بقيامته، وأعطانا روح القيامة لكي نبطل بها الموت نحن أيضاً من كياننا الروحي في هذه الحياة كشهادة صادقة أن المسيح فعلاً يحيا فينا بقيامته وحياته الأبدية. إن إحساسنا الصادق بقيامة المسيح وسلوكنا في جدة الحياة التي وهبها لنا بقيامته، كفيلة بأن تعطينا الغلبة ضد الموت، لنطرح قوته خارجنا.

نجوز الموت مع المسيح، لكي نشترك في مجد القيامة:

ولكن كيف نحصل أكيداً على روح القيامة؟ هذا ما ينبغي أن نركز عليه في سلوكنا اليومي. لأنه لا سبيل إلى نوال قوة القيامة إلا من خلال الصليب. لهذا ينبغي أن نجوز

الموت أولاً مع المسيح لكي نشترك في مجد قيامته وقوتها .

إذن فالموت فَقَدَ حق المبادرة علينا ولم يعد يغزونا وكأننا مقيدون بسبب الخطية ، بل قد تهيأنا من قِبَل الصليب والدم ، ولبسنا الأسلحة الكفيلة بأن نسبق نحن ونغزوه! نحن مطالبون بأن نغزو الموت ونقتحم كل مكامنه المخيفة وأركانه المظلمة!! فالإنسان الذي تسلَّح بالصليب أصبح على استعداد الموت وسفك الدماء مع المسيح ومن أجله ، بكل سرور ورضى : «من أجلك نمات كل النهار» (رو٨ : ٣٦) بكل أنواع الميتات!! :

«... في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مراراً كثيرة ، من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة ، ثلاث مرات ضُربتُ بالعصي ، مرة رُجمتُ ، ثلاث مرات انكسرت بي السفينة ، ليلاً ونهاراً قضيت في العمق ، بأسفار مراراً كثيرة ، بأخطار سيول ، بأخطار لصوص ، بأخطار من جنسي ، بأخطار من الأمم ، بأخطار في المدينة ، بأخطار في البرية ، بأخطار في البحر، بأخطار من إخوة كذبة ، في تعب وكد ، في أسهار مراراً كثيرة ، في جوع وعطش ، في أصوام مراراً كثيرة ، في برد وعري .» (٢ كو١١ : ٢٣ــ٢٧)

كل هذه التي ذكرها لنا بولس الرسول هي في الواقع كل ما يملك الموت ومن له سلطان الموت ، لكي يخيف بها الناس ، وها هي أمامنا صارت موضع افتخار بولس الرسول لأنه اقتحمها كلها كشجاع ، وجرَّدها من كل صفة الخوف والرعبة ، بل جعلها وكأنها منهج عام لكل عابري طريق الملكوت!! إن كانت طبيعة الشيطان قد انفضحت لنا في الآية التي تقول : «قاوموا إبليس فيهرب منكم» (يع ٤ : ٧)، هكذا صارت طبيعة الموت تماماً ، فإذا قاومناها هزمناها وطردناها ؛ إذا أمتنا أنفسنا بإرادتنا هرب الموت عنا وتحولت رعبته إلى غلبة وانتصار؛ وإذا أشفقنا على أجسادنا ، وجبنت إرادتنا إزاء إماتة الذات ، أخذ الموت فرصته علينا ، وكلما تمادينا في العطف على أنفسنا وجزعنا منه أو من الألم أو الخسارة أو المرض أو الإهانة ، كلما اقتحم الموت كياننا الداخلي ومعه الخوف

والرعبة الكاذبة ؛ وهكذا إلى أن يوقف فينا كل حركة شجاعة وكل شهادة صريحة وكل إيمان واضح ، وقليلاً قليلاً يُخرجنا من ساحة الحرب مخذولين مهزومين ، كخائفين من الموت ، وهذه خديعة عظيمة ، فهو لا يملك قط حق الغلبة علينا !!

فإذا شبهنا الموت بسم العقرب أو الأفعى ، والخطية بشوكة العقرب أو بأنياب الأفعى ، فعلينا أن ننتبه بالروح ونؤمن ونصدق أن المسيح كسر شوكة العقرب وأزال سمَّها ، وكسر أنياب الأفعى وسكب سمها على الأرض . هكذا تماماً أنهى المسيح على الموت بأن كسر سلطان الخطية وأزال مفعولها عن الإنسان الجديد إلى الأبد .

فمن ذا الذي يخاف من عقرب فاقد ذيله أو من ثعبان فاقد أنيابه ؟! ألا يكون بعد موضع سخرية وشماتة ، ومهيأ تماماً أن ندوسه بأقدامنا ؟! إن المسيح الذي رفع عنا الخطية ومسح آثارها المخزية بالدم الإلهي ، أزال عنا بالتالي كل سطوة الموت ورعبته ، وقيامته تشهد بذلك ! وحتى موت الجسد سوف لا يدوم ، لأنه حتماً سيأتي الرب وستأتي أرواحنا معه ، لتأخذ كلُّ روحٍ جسدَها مجدَّداً من يد الرب . ولكن ينبغي أن نثق أن موت الجسد لن يوقف عملنا في الرب ، ولن يضع حداً لآمالنا السعيدة في المسيح ، ولن ينقص حبنا لله أو للناس ولا قيد شعرة . بل على العكس ، فإن تحرُّرنا من الجسد سوف يعطينا فرصاً جديدة لخدمة الرب ، وأعماقاً أعظم لحبه وحب الناس جميعاً . لذلك فالموت لن يُنقص من قامتنا الروحية أو يحد من رسالتنا السعيدة في خدمة المسيح ، بل إن كل ما ينقصنا و يعوزنا الآن ، سنستكمله بالضرورة عندما نخلع خيمتنا الأرضية ونلبس السماويات ونستوطنها !

يا لذلك اليوم السعيد الذي تنفتح فيه عيوننا وآذاننا على الأبدية ! وننضم لخورس السمائيين ، ونتعلم الترنيمة الجديدة : «ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف . » (رؤ١٥ : ٣)

هناك ستنفك عقدة ألسنتنا ، لنرنم بألحان فائقة الإتقان والتعبير ، لأننا سنعي جمال الله الفائق وعياً روحياً ، ينضح على قلوبنا فيضاً من تسبيح يدوم إلى الأبد .

ساعة المـــوت

□□□

أولاً:

يحدد بولس الرسول لنا الخطوط العريضة التي تتحكم في ساعة الموت:

«لأن لي **الحياة هي المسيح، والموت هو ربح**، ولكن إن كانت **الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي،** فماذا **أختار**، لست أدري، فإني محصور من الإثنين، لي اشتهاء أن أنطلق **وأكون مع المسيح**، ذاك **أفضل جداً**. ولكن **أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم**. فإذ أنا واثق بهذا أعلم **أني أمكث وأبقى مع جميعكم** لأجل تقدمكم وفرحكم في الإيمان، لكي يزداد افتخاركم في المسيح يسوع فيَّ بواسطة حضوري أيضاً عندكم.» (في ١: ٢١-٢٦)

ومن هذه الكلمات المنيرة، نستطيع أن نجمع المبادىء الآتية:

١ — إن حياتنا هي مِلْكٌ للمسيح وليست مِلكاً لنا.

٢ — إن الموت الذي نموته بأي شكل وبأية صورة وفي أي وقت، هو ربح، طالما نحن نعيش الآن للمسيح، أو طالما أن المسيح يملك حياتنا.

٣ — الحياة في الجسد قد يستزيدها المسيح من أجل الثمر المتحصل منها لحسابه، فبالرغم من أن الإنسان يكون مهيأً للإنطلاق ليكون مع الرب، إلا أن الرب يعوق إنطلاقه ربما سنين كثيرة، كما حدث للقديس أنطونيوس لما طلب الإنتقال لنفسه، إذ قال الرب لروحه: «إنك والدة حسنة ومربية صالحة، وقد تركتك لتربي أولادك حسناً» (رسالة ١٩).

٤ — قد يحدث للإنسان الصالح أن يختار لنفسه بين الإنطلاق ليكون مع الرب، أو البقاء في الجسد لخدمة أولاد المسيح بسبب ضرورة شديدة.

٥ — إن إحساس الإنسان الصالح بالإنطلاق ليكون مع المسيح، يصاحبه شعور

بالبهجة الشديدة، و يتيقن جداً من أفضلية الحياة مع المسيح !!

٦ ـــ بالرغم من ثقة الإنسان الصالح بأفضلية الإنطلاق والحياة مع المسيح، إلا أنه يستطيع أن يفضل البقاء في شقاء العالم والجسد من أجل خير أولاد المسيح وخدمتهم، والرب يوافق.

٧ ـــ الإنسان الصالح يعلم تماماً أن طلبه الذي يطلبه من الرب ليبقى في الجسد من أجل تكميل خدمة أولاد المسيح، يستجاب بسرور: «فإذ أنا واثق بهذا، **أعلم أني أمكث وأبقى مع جميعكم** لأجل تقدمكم وفرحكم في الإيمان.» (في ١: ٢٥)

+ أما مجمل هذه النقاط السبع، فهو أن تحديد ساعة الموت بالنسبة للذين يعيشون مع المسيح، يتقاسمها الرب مع أولاده الأمناء، و يتحكم فيها مقدار الثمر المتحصل من حياة الإنسان. فساعة الموت ذات صلة شديدة برسالة الإنسان الروحية، وكأنما الإنسان الصالح لا يعيش لنفسه ولا يموت لنفسه، كما يقول الكتاب: «إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن.» (رو ١٤: ٨)

+ وقد يكون موت الإنسان بحد ذاته تمجيداً لله أكثر من كل ما عمله الإنسان في حياته، لأن الشهادة للمسيح بالموت لا يعادلها شهادة مهما عظمت الحياة وطالت مدتها حتى ولو كانت مائة عام! ومعروف أن رتبة الشهداء أعلى رتبة في كافة رتب القديسين، فهي من بعد رتبة الرسل مباشرة، كما أنه معروف أيضاً أن الرب حينما يريد أن يكرم إنساناً جداً، يهيىء له فرصة الشهادة بالدم، لذلك كان يدعو كثيرين في أيام الضيق للشهادة. وكأنما ترك الرب للإنسان أن يحدد موعد وطريقة انطلاقه! فكانوا يذهبون إلى ساحة الإستشهاد وهم على علم متى سينطلقون وكيف سينطلقون، سواء كان بالسيف أو الحريق أو الوحوش أو آلات التعذيب. وهكذا تحولت رعبة الموت وساعته المخيفة ووسيلته المرعبة إلى خطة أُعطي للإنسان أن يرسمها بيده ويختار ميعادها وظروفها، و ينتظرها بفرح وتهليل كعيد أو كحفل زفاف !!

فما أعظم هذه النصرة فوق الموت التي حققها المسيح للإنسان، أن يعرف الإنسان ساعة موته و يفرح لها و يتهلل!!

ثانياً:

يكشف لنا بطرس الرسول عن مستوى الموت كحادثة زمنية:
ــ «ولكني أحسبه حقاً ما دمت في هذا **المسكن** أن أُنهضكم بالتذكرة عالماً أن **خلع مسكني قريب** كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضاً، فاجتهدوا أيضاً أن تكونوا **بعد خروجي** تتذكرون كل حين بهذه الأمور.» (٢بط ١: ١٣ــ١٥)

١ ــ بطرس الرسول هنا نراه مثل بولس الرسول يشدد على أن حياته بالجسد وَقْفٌ للرب، وأن عمله الأساسي طالما هو يعيش في الجسد، أن يكرز بوصايا الرب، و يذكّر بها أولاده مراراً وتكراراً.

٢ ــ الحياة بالجسد يشبهها بطرس الرسول بالوجود داخل مسكن مبني بحجارة أو بطين. هذا هو الجسد في نظر بطرس.

٣ ــ كما يخلع الإنسان ملابسه، أو يخرج من مسكنه المبني بالطين، هكذا يرى بطرس الرسول حادثة الموت التي فيها يخلع جسده الذي يسكن فيه على الأرض.

٤ ــ أن الموت بهذه الكيفية أو على هذا المستوى، أي بوصفه خلع مسكن أرضي، لقبول مسكن سمائي، أعلنه الرب لبطرس الرسول أنه سيتم له قريباً. وهنا الإعلان عن ساعة الموت يجيء مشدداً جداً للرسالة التي آؤتمن عليها هذا الرسول: «**أحسبه حقاً ما دمت في هذا المسكن** أن أُنهضكم بالتذكرة».
وهكذا يأتي تحديد ساعة الموت مستحثاً لمزيد من الكرازة، وداخلاً في إطار إرادة بطرس ومسرة قبوله.

٥ ــ بطرس الرسول يعطينا نظرة مبدعة عبر الموت و بعد الإنتقال وكأنه قد تم، فيهتم

كيف يكون أولاده بعد خروجه من الجسد: «فأجتهد أيضاً أن تكونوا **بعد خروجي** تتذكرون كل حين بهذه الأمور». وهكذا يصور لنا الموت تصويراً غاية في الرقة والبساطة دون أي انزعاج منه أو تعقيد، مجرد خروج وسَفَر سعيد تنتهي عنده حدود رسالته كمعلم وكارز، فيجتهد قبل خروجه أن يؤمِّن رسالته حتى لا يكون في خروجه توقُّف لها !!

وإن كان بطرس الرسول هنا قد شبَّه حادثة الموت بـ«**الخلع**» أو «**الخروج**»، نجد أن بولس الرسول يشبهها في موضع آخر بـ«**الإنحلال**»: «وقت إنحلالي قد حضر» (٢تى ٤: ٦)، وهو اصطلاح يستخدمه البحارة عند فك رُبُط المركب للسفر عبر البحار.

+ وهكذا في هذه النقاط الخمس، نجد أن تحديد ساعة الموت دخل ضمن نطاق علم الإنسان ليزداد الإنسان تأكيداً لرسالته، حيث تتكشف حادثة الموت وتزداد رقة وبساطة ونوراً، لتصبح كخلع الثوب أو المسكن، أو كسفر سعيد لا يحتاج إلى استعداد بقدر ما يحتاج إلى توصية المودعين !!

تحديد عمر الإنسان

□□□

في العهد القديم نقرأ عن البطاركة إبراهيم وإسحق و يعقوب وكل أتقياء الله، أن كل واحد منهم «مات شيخاً وشبعان أياماً» (تك٢٥: ٨، ٣٥: ٢٩)، وهكذا كان رضى الله عن الإنسان قديماً يتقيّم بطول العمر، كما كانت مكافأته أيضاً تتقيم بالخيرات الزمنية. لذلك نسمع داود النبي يتوسل من جهة نفسه أن «لا تأخذني في منتصف أيامي.» (مز١٠٢: ٢٤)

كذلك نرى الله في العهد القديم، يسمع لصلاة الإنسان، و يزيد أياماً على أيامه: «في تلك الأيام مرض حَزَقِيَّا للموت، فجاء إليه إشَعيا بن آموص النبي وقال له: هكذا قال الرب أوصِ بيتك لأنك تموت ولا تعيش. فوجَّه وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب قائلاً: آه يا ربُّ اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة و بقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك. و بكى حَزَقِيَّا بكاءً عظيماً. ولم يخرج إشعيا إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلاً: ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي هكذا قال الرب إله داود أبيك، قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك، هأنذا أشفيك، في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب، وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة.» (٢مل٢٠: ١—٦)

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن الرب أرسل النبي إلى حَزَقِيَّا ليعلمه بساعة موته، كما نشير إلى غاية الرب من هذا الإعلان ضمناً، وهي توصية الملك لأولاده من جهة اتّباع طريق الرب حسب أمر الرب. ولكن نرى الأمر هنا يتغير فجأة، و يستطيع حزقيا أن يغيِّر ساعة موته!! إذ يطلب المزيد على سني حياته المحددة، فيُستجاب طلبه بناء عن صلاة ودموع.

هنا وفي صميم العهد القديم، تظهر رحمة الله و يظهر لطفه جداً على الإنسان، حيث

يبدو الموت كحادثة، وإن كانت محددة بحسب تدبير الله وسابق علمه، إلا أنها قابلة للتغيير والتأجيل، بتدخل مشيئة الإنسان الصالحة وصلاته ودموعه. هنا يفقد الموت كثيراً من حتميته المرعبة وتحديده القاطع المخيف.

المسيح في العهد الجديد يكشف عن سلطانه الشخصي على الموت وعلى إطالة عمر الإنسان، في إطار من البساطة، ولكن في معنى الألوهة الفائقة القدرة والسلطان: «قال له يسوع إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك؟ اتبعني أنت. فذاع هذا القول بين الإخوة إن ذلك التلميذ لا يموت...» (يو٢١: ٢٢و٢٣)

ولكن سلطان المسيح لا يقف عند إطالة عمر يوحنا، لقد امتد وشمل كل من يولد من الله، المؤمنين باسم المسيح: «وكل من كان حياً وآمن بي، فلن يموت إلى الأبد.» (يو١١: ٢٦)

في العهد القديم تحسب إضافة ١٥ سنة على عمر حزقيا، أمراً إعجازياً ولطفاً من الله كثيراً، غمر حياة حزقيا بالشكر، وغمر كل أتقياء الله بهذا الإحساس عينه، أي بالشكر والإمتنان.

أما في العهد الجديد فقد أضاف المسيح حياته على حياتنا، فمنحنا سنين الأبدية كلها التي لا قياس لها، فصار عمر الإنسان ممتداً إلى مالانهاية. لقد رفع المسيح عن أولاده تحديد عمرهم، فصار عمرهم عمره، أي الأبدية كلها بكل طولها وعرضها وعمقها وعلوها في المجد.

وعمرنا في المسيح لا يبدأ من حادثة الموت الجسدي، بل من لحظة الشركة في موت الرب بالمعمودية وقبول الروح القدس والميلاد الجديد!

إذن فعمرنا في المسيح يبدأ منذ الآن وفي صميم هذا الدهر، ويمتد عبر كل الحوادث والموت ليشمل الأبدية. الموت لا يقطع ولا يوصل. عمرنا يبدأ بالإيمان والمعمودية، ولا

ينتهي ولا يتوقف ولا يُستزاد.

الخطية كانت فيما مضى تفصل الإنسان عن الله، لأنها تعدٍّ، والتعدي يُنشىء عداوة، والعداوة ظلمة. فكانت الخطية تحدر الإنسان إلى حالة الظلمة الخارجية التي تكلم عنها الرب، وتوقعه في صراع يائس مع الموت بل ومع الحياة.

المسيح رفع الخطية من الوسط. حلَّ المسيح محل الخطية، وصار وسيطاً بيننا و بين الآب: لا وساطة الشفاعة الكفارية فحسب، بل جعلنا أولاً واحداً فيه، وحَّدنا في نفسه وفي جسده وفي روحه، جعلنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه (أف ٥ : ٣٠).

ثم إذ هو واحد مع الله الآب، صرنا نحن فيه و بواسطته واحداً أيضاً مع الآب. هذه الوساطة عينها جعلتنا نسير في النور وفي صميم الحياة مع الله، في تحدي الموت كل يوم، ما دام لنا المسيح، لأن المسيح كفيل دائماً أن يمسح الخطية و يلغي فعلها كتعدٍّ، لأنه أرضى الآب عنا بذبح نفسه عن كل تعدٍّ في الماضي والحاضر والمستقبل. فالآن الخطية فقدت قدرتها على فصلنا من الله، ذلك الإنفصال الذي كان **هو هو** الموت، فكان الموت أبشع ما يمكن أن يحدث للإنسان. الآن الموت لا يفصلنا عن الله!! لقد زال أبشع ما في الموت!! الموت الآن وفي المسيح يضع نهاية لعمر الجسد، ولكن لا يضع نهاية لعمر الإنسان. لأن الإنسان في المسيح يسوع، قائم مع الله على الدوام، في هذا الزمان وفوق هذا الزمان.

الإنسان الذي يعيش مع المسيح بالروح، ينتقل تلقائياً من الزمان الحاضر إلى الأبدية الحاضرة، من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح، يموت كل يوم عن العالم، ليحيا بلا انقطاع مع الله.

الصلاة الحارة والحب المتأجج والدموع اللذيذة، تحول الساعات والأيام إلى خلود. الخدمة الباذلة وفناء القوة الجسدية، حباً في الرب، والتبذير في مال الظلم لحساب إخوة المسيح، يحول الوقت المرفوض إلى وقت مقبول، والفراغ إلى ملء.

كيف بعد ذلك كله نقول إن إنساناً مات، وهلمّ نبكي عليه؟ أليس من الأفضل أن نعمل لروحه قداساً، ونزفها إلى العريس السمائي، ونجلس نعمل معاً «أغابي»، لأن حبيبنا الآن أسعد مما كان؟!

□

نشكرك يارب لأننا آمنا بك واعتمدنا لموتك
وانسكب علينا روح قيامتك فلن نموت أبداً لأننا نحيا بك؛
سيضعون أجسادنا في القبر يوماً ما،
أما نفوسنا الحية بروحك فلن تشارك الجسد في قبره المظلم أبداً،
ولن يعيث فيها فساده، بل سننطلق لنكون معك كل حين في نور قديسيك؛
نتبعك أينما تكون، نشاركك بهجة قيامتك ونصرة سلطانك وملكوتك،
كمواعيدك الحقيقية غير الكاذبة.

منذ أن سقط آدم، والموت هو عدو الإنسان الكبير، فإن كان للإنسان أعداء كثيرون بسبب الخطية، ولكن الموت كان دائماً أشدها سطوة وبأساً على نفسية الإنسان. هذه الحقيقة واجهها الإنسان طول حياته بجزع شديد مع خوف دائم ورعبة. وقد عبَّر عنها بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين بقوله: «الذين خوفاً من الموت، كانوا جميعاً، كل حياتهم تحت العبودية.» (عب ٢:١٥)

ما هي نظرة المؤمن المسيحي إلى الموت على ضوء الشركة في آلام وموت وقيامة المسيح؟ هذا هو موضوع الكتاب.

الثالثة ١٩٩٠
٣٠ قرشاً